وقفة مع

فتحي عبد السميع
لا ينقصنا أيّ شيء سوى الحرّية

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء. «يجب أنْ تكون قضيتنا الأُولى هي الحرّية، ومتى تحرَّرنا سقطتْ كلّ المشكلات»، يقول الشاعر والباحث المصري لـ«العربي الجديد»

فتحي عبد السميع

قنا (مصر) ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوان على غزّة؟
الخوف من المستقبل؛ بسبب طغيان الشعور بالعار والعَجز. والانشغال بسبب استسلام وهُمودِ العالَم العربيّ إلى هذه الدرجة التي تفوق ما يريده العدوّ الصهيونيّ والعالَم الغربي من شعوبنا.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟
وَضعنا العدوانُ أمام صورتنا الحقيقيّة ككائناتٍ مُستعبَدة، تملك حقَّ الألم ولا تَملك حقَّ الصراخ، لقد كشف العدوانُ حجم التحدّيات التي تُواجهنا وبؤس قدرتنا على الفعل، وأحدث شرخًا كبيرًا في أعماقنا، لا بسبب الفظائع التي تم ارتكابها في حقّ النساء والشيوخ والأطفال والبيوت، بل بسبب تخاذلنا الشديد، الذي أفقدنا القدرة على الحياة السليمة، أو المعتادة، وصارت انشغالاتنا اليوميّة مجرّد هربٍ من هويتنا المأزومة وصورتنا المُخجلة.

■ إلى أي درجة تشعر بأن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟
العمل الإبداعيّ، وخاصةً الأدبيّ، لا يستطيع فعل أيّ شيءٍ اليوم، لأنَّنا لا نحتاج إلى كلمات تكشف بشاعة الواقع وقبح العدوّ والدول الغربيّة التي تدعمه دون قيدٍ أو شرط، لأن ذلك ظاهرٌ جدًا، لا نحتاج إلى كلماتٍ توجّه مشاعرنا نحو المأساة، لأن مشاعرنا متأجِّجة بفعل المشاهد التي تنقلها الشاشات. ربما كانت الأعمال الأدبية تلعب دورًا إيجابيًا في منتصف القرن الماضي، لكنها الآن تؤدّي وظيفتها الأساسية وهي تغيير الإنسان من الداخل، وتلك العملية تحدث ببطء شديد، وتظهر نتائجها على المستوى البعيد. العمل الإبداعي يشبه الشجرة التي تطرح ثمارها بعد وقت طويل.

■ لو قيّض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أم مجالًا آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟
سوف أختار المجال الإبداعي، لأنَّ الشعر يحتوي المجالات كلّها ويتحرَّر من سلبياتها، فالسياسيّ بلا شِعر مشروع طاغيةٍ مستبدّ، وكذلك المناضل، سوف أختار الشِعر لأنَّه الأنسب لقدراتي وموقعي الجغرافي، ولأنَّ الشِعر عظيم جدًا، ومشكلته هي عدم الوعي بأهميته وقدرته على تحرير الإنسان وبناء حياة داخلية عظيمة.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟
أُريد الخلاصَ من أميركا وأتباعها كقوّةٍ مُهيمنةٍ ومتسلّطةٍ على بُلداننا، لأنَّها اللصّ الكبير الذي يسرق ثرواتنا ويقضي على حرّيتنا ويجمِّد مسيرتنا الحضارية، ويزرع كلّ مكان بالفخاخ والألغام. وهذا الخلاص ليس مستحيلًا بل هو في المتناول متى كافحنا من أجل امتلاك حرّيتنا وإرادتنا.

■ شخصية إبداعية مقاوِمة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟
أودُّ لقاء عنترة بن شداد، رمز الشرف العربي والنضال الإنساني العظيم، لكنَّني لا أتخيَّله حُرًّا طليقًا. لقد فقدتُ القدرة على تخيّل العربيّ حرًّا طليقًا، ولا شكَّ في أنَّني سوف ألتقي به وهو مقيّدٌ بالسلاسلِ الحديديّة المغروزة في الجدران للأسف، وسوف أبكي بين يديه بمجرد رؤيته وأقول: لم يبقَ من العرب سوى عمارة الزيادي، وقد طبعوا منه ملايين النسخ ونشروها في كلّ مكان.

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟
أنا جزءٌ من الجُبن العربيّ ولا أستطيع رفع رأسي أمامهم، أفتخرُ بالصمود العظيم والمُبهر للناس في غزّة، ويُحزنني الثمن الفادح الذي دفعوه، لا أعرف ماذا أقول لهم سوى طلب العفو، والتعلّل بأنَّني مُحَاصرٌ مثلهم.

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟
نحن أقوياء جدًّا، ويُمكننا الوجود في العالَم كقوةٍ عظمى أو محترمة، لا ينقصنا أيّ شيء سوى الحرّية التي تُمكننا من استثمار قدراتنا الهائلة، لسنا أقلّ من الإنسان اليابانيّ أو الألمانيّ، كل البشر يحملون نفس القدرات، الحرّية هي المشكلة الأساسية، لا أميركا ولا العدوّ الصهيونيّ، لقد فقدنا أنفسنا ومن ثمّ كان هذا الضعف والعجز والخزي الهائل، ومتى امتلكنا أنفسنا امتلكنا كلّ شيء، يجب أنْ تكون قضيتنا الأولى هي الحرّية، ومتى تحرَّرنا سقطتْ كلّ المشكلات بالتدريج وحققنا وجودنا المُحترم في العالم.

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان، ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟
لقد تعلّمتُ من أطفال فلسطين الكثير، وقد قلت في كتابي «الشاعر والطفل والحجر» إنَّني من أبناء «أطفال الحجارة»، لأنَّهم كانوا سببًا في اتجاهي نحو كتابة الشعر، ووضّحتُ ذلك بالتفصيل في الكتاب، لقد كنت مبهورًا بهم في بدايتي، لكنَّني الآن مصدوم بسبب جروحهم العميقة وانكساراتهم الكبيرة، مصدوم بالأهوال التي يعيشون فيها، مصدوم في الإنسانيّة التي تخلّت عن شرفها وتركتهم يواجهون هذا المصير، لا يوجد لدي ما أقوله سوى طلب الصفح.

أنا من أبناء «أطفال الحجارة»، كانوا سببًا في كتابتي للشعر

تحولنا إلى كائنات تملك حقَّ الألم ولا تَملك حقَّ الصراخ

هُمودُ العالَم العربيّ يفوق ما يريده العدوّ الصهيونيّ

بطاقة

شاعر وباحث في التراث الشعبي والأنثروبولوجيا، مواليد محافظة قنا بأقصى جنوب مصر 1963. صدر له في الشِعر: «الخيط في يدي» (1997)، و«تقطيبة المحارب» (1999)، و«خازنة الماء» (2002)، و«فراشةٌ في الدخان» (2002)، و«تمثال رملي» (2012)، و«الموتى يقفزون من النافذة» (2013)، و«أحدَ عشر ظلًا لحجر» (2016)، و«عظامي شفافة وهذا يكفي» (2022). كما صدر له في النقد والاجتماع: «الجميلة والمقدّس» (2014)، و«القربان البديل طقوس المصالحات الثأرية» (2015)، و«شعريّة الحدث، مختارات وقراءة نقدية» (2015)، و«الشاعر والطفل والحجر» (2016)، و«وجوه شهريار» «2022». حصل على «جائزة الدولة التشجيعية في علم الاجتماع» لعام 2016، و«جائزة الدولة للتفوق في الآداب» لعام 2023، وهو رئيس تحرير سلسلة الإبداع الشعري التي تصدر عن «الهيئة المصرية العامة للكتاب».

تغيير الإنسان من الداخل

«ربما كانت الأعمال الأدبية تلعب دورًا إيجابيًا في منتصف القرن الماضي، لكنها الآن تؤدّي وظيفتها الأساسية وهي تغيير الإنسان من الداخل، وتلك العملية تحدث ببطء شديد، وتظهر نتائجها على المستوى البعيد. العمل الإبداعي يشبه الشجرة التي تطرح ثمارها بعد وقت طويل»، يقول صاحب «تمثال رملي» والذي يرى أن «الشِعر عظيم جدًا ومشكلته هي عدم الوعي بأهميته وقدرته على تحرير الإنسان وبناء حياة داخلية عظيمة».

إطلالة

هل تتحوّل بُلدانها إلى «دول عالم ثالث»؟
أوروبا التي تمحو ذاتها

يعيش المواطن الأوروبي في أوج تمزّقه، مقيّداً بثقافة الاستهلاك، ومنقاداً بشكل أعمى وراء ثقافة الإعلام الأيديولوجية وثقافة التقنيّة

جعفر العلوني

في شكل العلاقة الراهنة التي تفرضها الولايات المتحدة الأميركية على دول الاتحاد الأوروبي إنذارٌ مُبكّر لتزعزع أوروبا وانهيارها، سياسياً، وحضارياً وثقافياً. وفيها ما ينذر بأنَّ أميركا صارت تتعامل مع هذه القارّة على أنّها فضاء شبيه بذلك الفضاء العربي الخاضع، والمستسلم وقائياً، بشكل شبه كامل. ففي ظلّ نمط الثقافة الاستهلاكي الذي يغزو المجتمعات الأوروبية، والذي تنتجه الرؤية الأميركية للعالَم، يعيش المواطن الأوروبي اليوم في أوج تمزّقه، مقيّداً بثقافة الاستهلاك، ومنقاداً بشكل أعمى وراء ثقافة الإعلام الأيديولوجية والمُوجَّهة، ووراء ثقافة التقنيّة القائمة بحدِّ ذاتها، والتي تقتلع الإنسان الأوروبي من جذوره وتطيحه في هاوية العبث وعدم اليقين. من يعِش في المجتمعات الأوروبية اليوم، يُدرك كيف يتحوّل مواطنوها إلى دُمى تلهو بها تقنية الآلة. وها هو هذا المواطن يلهث ليلاً نهاراً كي يلحق بوتيرة «التقدُّم» الآلي الأميركي، لكنه مع ذلك يشعر بالعجز أمام وتيرتها السريعة، بسبب عدم قدرته على اللحاق بها. الأمر الذي يُسبّب، شيئاً فشيئاً، بنقله إلى حالة اجتماعية وثقافية مُختلفة، حالة أشبه بشعور العجز. وأمام هذا العجز وعدم القدرة يبدأ التشوُّه: يفقد هويته، ويتخلّى عن شخصيته، ويتحوّل إلى قنبلة موقوتة تنفجر حولها ولا تترك إلّا الأشلاء والركام. نموذج الثقافة الأميركية في الحياة وأنماط التفكير وأساليبها آخذٌ في تغيير هوية الإنسان الأوروبي الحضارية والثقافية، لدرجة أنه لو سألت اليوم في المجتمعات الأوروبية، تمثيلاً لا حصراً، ما هي أشهر أعمال غوته أو ثربانتس، لوركا أو رامبو، بيلاثكس أو غويا، مقارنةً مع أحدث أفلام «الأكشن» الأميركية، أو أحدث ألبومات مغنّي «الراب»، فسيكون الجواب بأن الأسماء الثانية هي التي يعرفها المواطنون الأوروبيون.

لا شكّ في أن هذه «الثقافة» الاستهلاكية والتقنية التي تروّجها الولايات المتحدة الأميركية في أوروبا آخذة في تغييب هوية أوروبا بالمعنى الحضاري للكلمة. لا يختلف الأمر كثيراً في السياسة، فها هي أوروبا تُشارك الولايات المتحدة رؤيتها للعالَم ولأحداثه، سواء في أوكرانيا، أو في غزّة، أو في سورية أو في اليمن، أو في ليبيا أو في معظم المناطق الساخنة. مَن تُعلن أميركا الحرب عليه، تُسارع أوروبا إلى معاداته وإعلان الحرب عليه أيضاً. وما تريده الرؤية الأميركية والصهيونية، تراه دول الاتحاد الأوروبي. فهل في هذا التغييب والطمس والمحو السياسي والثقافي والحضاري للذاتية الأوروبية من قبل الولايات المتحدة مقدّمات لتحويل الفضاء الأوروبي إلى «دول عالم ثالث»؟
قد يكمن أحد أسباب غياب العرب سياسياً وحضارياً وثقافياً في امّحاء الذاتية التي تُمارسها مجموعة من العوامل، في مقدّمتها الطغيان السياسي والديني، والاستعمار. وفي هذا ما أدّى إلى امّحائه، للمفارقة، جماعياً، وفردياً. إنّ عملية المحو التي تُمارسها الولايات المتحدة الأميركية للذاتية الأوروبية ستؤدّي، حتماً، في نهاية إلى المطاف، إلى تحويل أوروبا إلى «عالم ثالث» بالنسبة لأميركا، وطمس ذاتيتها، على غرار الذاتية العربية الذائبة، وبالتالي إلى غياب أوروبا حضارياً وثقافياً وفكرياً.

(شاعر ومترجم سوري مقيم في إسبانيا)

امّحاء الذاتية الأوروبية يكاد يكون شبيهاً بامّحاء الذاتية العربية

من تظاهرة مطالبة بوقف تسليح الكيان الصهيوني أمام البرلمان البريطاني، لندن، 17 نيسان/ إبريل 2024 (Getty)

قصائد

حسناً، هذه مدينةٌ من الرُّخام
زنزانة تسعُ الدنيا

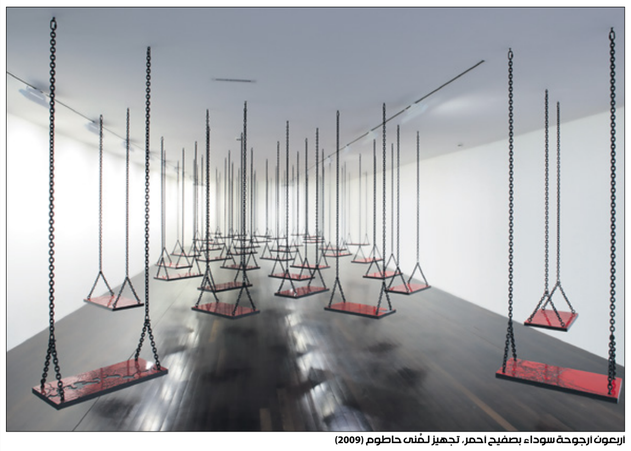

علي صلاح بلداوي

قديمًا، بالأمس أو قبل قليل

لكلِّ مولودٍ في هذه اللحظةِ
نُكتةٌ يُضحِكُه بها الملاكُ الذي هَيَّأَ سريره،
لكلِّ مولودٍ حجارته التي تنتحرُ في أظفره
وثيابه الملطَّخةِ بالثارات وشتائم الغرباء وبَصَمات العائلة.

لكلِّ صارخٍ لأوَّلِ مرَّةٍ في الوجود هذه اللحظة
دَغْلُهُ الذي يَلوكه راضيًا وعلى شفتيه ضحكةٌ باهتة،
له عسله المغشوش ونحلته المريضة،
حروبهُ الغزيرة
وسفرهُ الشحيح
وعزلتهُ باكيًا في السرِّ بلا سبب.

هكذا قالوا قديمًا، بالأمس أو قبل قليل:
سيولدُ في كلِّ لحظةٍ عليٌّ،
وينهضُ آخرُ من مهدِهِ ليموت.

■■■

غبار

لا يُباعُ هذا الغبارُ ولا يُشترى
لا يُحفظُ في زُجاجةٍ ولا يمحي بمكنسةٍ من خوص.

هذا الغبارُ مدينةٌ تطفو في مجرَّةٍ تنهبها الأجرامُ العاتية
هذا الغبار الطوّاف حول الهمسةِ والصيحةِ والإشارة
دربٌ تتعثَّرُ فيه حياةٌ وينزلقُ فيه موتٌ
وتذوبُ فيه ظهيرةٌ ومغرب
وهذا الغبارُ المضيءُ،
بيتٌ وعلى عتبته غيمةٌ مكسورةٌ
وفي غرفةٍ داخله، صَحوٌ مُقطَّع الأعضاء
وهذا أنا
لا أمل لي في كتابة هذه القصيدة
وحبري غُبار.

■■■

نارُك يا صاحبي

نارُك عالية
ومياهُ الأرضِ قطرةُ عرقٍ على جبينك الحار.
ليسَ من دُخانٍ ولا من حريق
ليسَ من شَررٍ ولا من رماد
نارُكَ يا صاحبي تركضُ في عظامك نافشةً شَعرَها
نارُكَ تضجُّ في ضلوعكَ البالية
نارُكَ تتسلَّقُ رجفةَ شفاهكَ وتحترقُ في عيونك.

من أين لكَ كلُّ هذا الوَلَه الذي يحيا في شرودكَ بين المدنِ
وينتفضُ في رقدتكَ تحتَ الأشجار؟
من أين لكَ كلُّ هذه الرغبة في السيلان على الوجود
والجري إلى حيثُ ما مدَّت يدٌ للمجاهل البعيدة؟
أهذهِ نارُك أم جوقةُ دراويشَ يحملون الفوانيس
أهذا أنت الذي في ابتسامتكَ تلويحةٌ للفناء
أهذهِ فيما بعد
بقايا نارك المُطفأة!

■■■

في صمت الثلاثاء

تهشَّمتَ بقطرةِ ماءٍ،
وكنتَ الحَجرَ الذي يوزِّعُ صلابتهُ على الجيران.
تناثرتَ بلا عاصفة،
وكنتَ ما يصل إلى أصقاع الوحدةِ
ويثير في عينيها شبهةَ البكاء.

كثيرًا ما أردناكَ عودةَ الغائبِ بعد ضياعهِ في الرِّوايات
وكثيرًا ما تخيَّلنا صوتكَ يحرثُ صمتَ الثلاثاء
ويبذرُ فيه اجتماع الأحبّة
ولكنَّك كنت هذا المفقود الكثير
هذا الذي نملكه اسمًا فقط
وليسَ من دليلٍ على ذلك.

تهشَّمت وتناثرت
ولا بأس، إنَّنا ضحاياك.

■■■

على النَّهر والشمس والرّيح

أعترفُ على النَّهر الذي ظلَّ يجري
غيرَ شاعرٍ بتعثُّري فوقكِ يا رمال،
على الشمسِ لا تعرفني وليسَ سمرة وجهي من نارِها،
على الريح مشحوذة بِغُربةِ المغيب وتجرح،
وها أنا أبتلع المسافاتَ،
لا وجهةَ لي غير مَرأى الجِمالِ
وبعض السَّرابِ
وقطعان أشباحِ البساتين البعيدة.

أعترفُ أنَّ كلَّ ما ملكت من هذه الأرض
صار الآنَ حفنةَ صحراءٍ في نعالي.

■■■

باقةٌ شكَّلها الموت

كُلُّها اجتمعتْ في قبضةٍ واحدة
مِعولٌ ليسَ من هَدّامٍ لَمْ يَترُكْ بصماتِهِ عليه
مِثقابٌ حَفَرَ في كُلِّ العِظامِ تَخريجةً للآفات المُجاورة
وسلسلةٌ من حديدٍ أعدّوه للقيامةِ
لكن جاءوا به خلسة من جلّاديها،
كُلُّها الآنَ فوقَ هذا الجسد اليابسِ مثلَ رغيف على السطح
الجسد الذي تتآمر عليه الديدانُ البَشريّةِ
وتَنْهَبه بين غَفلةٍ وأُخرى غِربانُ السلاطينِ وأفراخها.

كُلُّها اجتمعت في قبضةٍ واحدة
باقةً صغيرةً شكَّلها الموتُ بيديه
وأظنّه الآن يقدِّمها لي
ولكنَّني لا أتفاجأ، ولا أرتعد،
إنَّني رغيفُ السَّطح،
أتفتَّتُ من تلقاء نفسي.

■■■

مدينةٌ من الرُّخام/ إزميلٌ من الورق

تركوا لكَ الإزميلَ كي تنقش على الرُّخام اسمك
وهذا اللون الرديء من سخام البلاد، كي تلوِّن حروفه،

هكذا ستكون لكَ شاهدةٌ بلا قبر
وقبركَ في مكانٍ ليس يعرفه أحد،

فلمَ نقشت عليه قصائدكَ، وخطَّطت بلادًا وتذاكرَ ووجوهَ نساء؟
لمَ شردت، ورأيتَ في شرودكَ أطيافكَ مسافرةً تُجرجرُ حقائبها

وتقطفُ من أشجار العالمِ تينها وعنبها؟
لمَ نقشتَ هذهِ الثمار، ولا عشبُ تحت لسانكَ سوى العوسج!

حسنًا، هذه مدينةٌ من الرُّخام
وهذا إزميلٌ من الورق
انحتْ منها زنزانةً تسعُ الدنيا التي في جوارحك
اكتُبْ على بابِها نشيدَكَ الذي أنشدتهُ هناك
ونعودُ إليكَ بعدَ ألف عام.

(شاعر من العراق)

أربعون أرجوحة سوداء بصفيح أحمر، تجهيز لمُنى حاطوم (2009)

فعاليات

تُعرض عند السابعة والنصف من مساء غدٍ الخميس على خشبة «مسرح الرينبو» في عمّان مونودراما **جبرا** من إخراج **إميل سابا**. يستند العرض الذي يؤدّيه الفنّان **خالد المصو**، إلى **البئر الأولى**، سيرة الروائي والشاعر والناقد الفلسطيني **جبرا إبراهيم جبرا**، التي تتناول طفولته في مدينتَي بيت لحم والقدس.

يُفتتح في «غاليري P21» بلندن عند السادسة والنصف من مساء الخميس، الثاني من الشهر المقبل، معرض **لسنا أرقاماً** الذي يتواصل حتى الحادي عشر منه. المعرض نتاج مشروع أسّسه الأكاديمي والشاعر الشهيد **رفعت العرعير** عام 2015، ويضمّ أعمال فنانين وكتّاب قصة فلسطينيين، كما يتضمّن حلقات نقاش وورش عمل تفاعلية تستكشف جوانب مختلفة من الحاضر والماضي في فلسطين.

حتى الرابع من الشهر المقبل، يتواصل في مدينة إلينوي الأميركية **مهرجان شيكاغو للفيلم الفلسطيني** الذي افتُتح الأحد الماضي. يتضمَّن البرنامج أكثر من عشرين فيلماً، منها: **شجرة فادية** (الصورة/ 2021)، لـ **سارة بيدنتغنون**، و **الأستاذ** (2013)، لـ **فرح النابلسي**، و**اللّد** (2023)، لـ **رامي يونس** و**سارة إيما فريدلاند**.

تنظّم «وكالة بِهنا» في مدينة الإسكندرية عند السادسة من مساء اليوم الأربعاء لقاءً مع الكاتبة الهولندية **كريستين أوتن** حول روايتها **الشعراء الأخيرون**، التي صدرت نسختها العربية عام 2022 بترجمة **عبد الرحيم يوسف**. يتناول اللقاء، الذي يشارك فيه المترجم، تجربة أوتن التي اتّكأت على الكتابة المسرحية للسجناء.